

مكية

الجزء الثلاثون سورة الفيل

آياتها ٥

سُورَةُ الْفِيلِ ، سُورَةٌ مَكِّيَّةٌ ، يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِمُحَمَّدٍ ﷺ وَلَا مَتَهُ :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضَلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾ ﴾

هَذِهِ مِنَ النَّعْمِ الَّتِي أَمْتَنَ اللَّهُ بِهَا عَلَى قُرَيْشٍ ، فِيمَا صَرَفَ عَنْهُمْ مِنْ أَصْحَابِ الْفِيلِ ، الَّذِينَ كَانُوا قَدْ عَزَمُوا عَلَى هَدْمِ الْكَعْبَةِ وَخَوِّ أَثَرِهَا مِنَ الْوُجُودِ ، فَأَبَادَهُمُ اللَّهُ ، وَأَرْغَمَ أَنَا فُهُمْ ، وَخَيَّبَ سَعْيَهُمْ ، وَأَصْلَ عَمَلُهُمْ ، وَرَدَّهُمْ بَشْرَ خَيْبَةٍ . وَكَانُوا قَوْمًا نَصَارَى ، وَكَانَ دِينُهُمْ إِذْ ذَاكَ أَقْرَبَ حَالًا مِمَّا كَانَ عَلَيْهِ قُرَيْشٌ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ . وَلَكِنْ كَانَ هَذَا مِنْ بَابِ الْإِرْهَاصِ وَالتَّوْطِئَةِ لِمَبْعَثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَإِنَّهُ فِي ذَلِكَ الْعَامِ وُلِدَ عَلَى أَشْهَرِ الْأَقْوَالِ ، وَلِسَانُ حَالِ الْقَدْرِ يَقُولُ : لَمْ نُنْصُرْكُمْ - يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ - عَلَى الْحَبْشَةِ لِحَيْرِيَّتِكُمْ عَلَيْهِمْ ، وَلَكِنْ صِيَانَةٌ لِلْبَيْتِ الْعَتِيقِ الَّذِي سَنَشْرَفُهُ وَنُعَظِّمُهُ وَنُوقِرُهُ بِبِعْتَةِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ مُحَمَّدٍ ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ .

وَهَذِهِ قِصَّةُ أَصْحَابِ الْفِيلِ عَلَى وَجْهِ الْإِيْجَازِ وَالِإِخْتِصَارِ وَالتَّقْرِيبِ ، قَدْ تَقَدَّمَ فِي قِصَّةِ أَصْحَابِ الْأُخْدُودِ أَنَّ ذَا نُوَّاسَ - وَكَانَ آخِرَ مُلُوكِ حِمَيْرَ ، وَكَانَ مُشْرِكًا - هُوَ الَّذِي قَتَلَ أَصْحَابَ الْأُخْدُودِ ، وَكَانُوا نَصَارَى ، وَكَانُوا قَرِيبًا مِنْ عِشْرِينَ أَلْفًا ، فَلَمَّ يُفْلِتُ مِنْهُمْ إِلَّا دَوْسٌ ذُو ثُعْلَبَانٍ ، فَذَهَبَ فَاسْتَعَاثَ بِقَيْصَرَ مَلِكِ الشَّامِ - وَكَانَ نَصْرَانِيًّا - فَكَتَبَ لَهُ إِلَى النَّجَاشِيِّ مَلِكِ الْحَبْشَةِ ، لِكُونِهِ أَقْرَبَ إِلَيْهِمْ ، فَبَعَثَ مَعَهُ أَمِيرَيْنِ : أَرِيَاطَ وَأَبْرَهَةَ بَنِي الصَّبَاحِ أَبَا يَكْسُومَ فِي جَيْشٍ كَثِيفٍ ، فَدَخَلُوا الْيَمَنَ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ ، وَاسْتَلَبُوا الْمُلْكَ مِنْ حِمَيْرَ ، وَهَلَكَ ذُو نُوَّاسَ غَرِيبًا فِي الْبَحْرِ . وَاسْتَقَلَّ الْحَبْشَةُ بِمُلْكِ الْيَمَنِ وَعَلَيْهِمْ هَذَانِ الْأَمِيرَانِ : أَرِيَاطَ وَأَبْرَهَةَ ، فَاخْتَلَفَا فِي أَمْرِهِمَا وَتَصَاوَلَا وَتَقَاتَلَا وَتَصَافَا ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِلْآخَرِ : إِنَّهُ لَا حَاجَةَ بِنَا إِلَى اضْطِدَامِ الْجَيْشَيْنِ بَيْنَنَا ، وَلَكِنْ ابْرُزْ إِلَيَّ وَأَبْرُزْ إِلَيْكَ ، فَأَيُّنَا قَتَلَ الْآخَرَ ، اسْتَقَلَّ بَعْدَهُ بِالْمُلْكِ . فَاجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ فَتَبَارَزَا ، وَخَلَفَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا قَنَاءً ، فَحَمَلَ أَرِيَاطُ عَلَى أَبْرَهَةَ فَضْرَبَهُ بِالسَّيْفِ ، فَشَرَمَ أَنْفَهُ وَفَمَهُ وَشَقَّ وَجْهَهُ ، وَحَمَلَ عَتُودَةَ مَوْلَى أَبْرَهَةَ عَلَى أَرِيَاطَ فَقَتَلَهُ ، وَرَجَعَ أَبْرَهَةُ جَرِيحًا ، فَدَاوَى جُرْحَهُ فَبَرَأَ ، وَاسْتَقَلَّ بِتَدْيِيرِ جَيْشِ الْحَبْشَةِ بِالْيَمَنِ . فَكَتَبَ إِلَيْهِ النَّجَاشِيُّ

يَوْمُهُ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ، وَتَوَعَّدَهُ وَيَخْلِفُ لِبَطَانٍ بِلَادَهُ وَيَجِزَنَّا نَاصِيَتَهُ. فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ أَبْرَهَةَ يَتَرَقَّقُ لَهُ وَيُصَابِعُهُ، وَبَعَثَ مَعَ رَسُولِهِ بَهْدَايَا وَتَحْفِيفٍ، وَبِحِرَابٍ فِيهَا مِنْ تُرَابِ الْيَمَنِ، وَجَزَّ نَاصِيَتَهُ فَأَرْسَلَهَا مَعَهُ، وَيَقُولُ فِي كِتَابِهِ: لِيَطَّأَ الْمَلِكُ عَلَى هَذَا الْحِرَابِ فَيَبُرُّ قَسَمَهُ، وَهَذِهِ نَاصِيَتِي قَدْ بَعَثْتُ بِهَا إِلَيْكَ. فَلَمَّا وَصَلَ ذَلِكَ إِلَيْهِ أَعْجَبَهُ مِنْهُ، وَرَضِيَ عَنْهُ، وَأَقْرَهُ عَلَى عَمَلِهِ. وَأَرْسَلَ أَبْرَهَةَ يَقُولُ لِلنَّجَاشِيِّ: إِنِّي سَأَبِي لَكَ كَنِيْسَةً بِأَرْضِ الْيَمَنِ لَمْ يَبْنِ قَبْلَهَا مِثْلَهَا. فَشَرَعَ فِي بِنَاءِ كَنِيْسَةٍ هَائِلَةٍ بِصَنْعَاءَ، رَفِيْعَةَ الْبِنَاءِ، عَالِيَةَ الْفِنَاءِ، مُزَخْرَفَةَ الْأَرْجَاءِ. سَمَّيْتُهَا الْعَرَبُ الْقُلَيْسِ؛ لِارْتِفَاعِهَا؛ لِأَنَّ النَّاطِرَ إِلَيْهَا تَكَادُ تَسْقُطُ قُلُوسُوتُهُ عَنْ رَأْسِهِ مِنْ ارْتِفَاعِ بِنَائِهَا. وَعَزَمَ أَبْرَهَةَ الْأَشْرَمَ عَلَى أَنْ يَصْرِفَ حَجَّ الْعَرَبِ إِلَيْهَا كَمَا يُحْجِجُ إِلَى الْكَعْبَةِ بِمَكَّةَ، وَنَادَى بِذَلِكَ فِي مَمْلَكَتِهِ، فَكَرِهَتِ الْعَرَبُ الْعَدْنَانِيَّةَ وَالْفَحْطَانِيَّةَ ذَلِكَ، وَعَظِبَتِ قُرَيْشٌ لِذَلِكَ غَضَبًا شَدِيدًا، حَتَّى قَصَدَهَا بَعْضُهُمْ، وَتَوَصَّلَ إِلَى أَنْ دَخَلَهَا لَيْلًا. فَأَحْدَثَ فِيهَا وَكْرًا رَاجِعًا. فَلَمَّا رَأَى السَّدَنَةَ ذَلِكَ الْوَحْدَ، رَفَعُوا أَمْرَهُمْ إِلَى مَلِكِهِمْ أَبْرَهَةَ، وَقَالُوا لَهُ: إِنَّمَا صَنَعَ هَذَا بَعْضُ قُرَيْشٍ غَضَبًا لِبَيْتِهِمُ الَّذِي ضَاهَيْتَ هَذَا بِهِ، فَأَقْسَمَ أَبْرَهَةَ لِيَسِيرَنَّ إِلَى بَيْتِ مَكَّةَ، وَلِيُخَرَّبَنَّهُ حَجْرًا حَجْرًا. وَذَكَرَ مُقَاتِلُ بْنُ سُلَيْمَانَ أَنَّ فِتْيَةً مِنْ قُرَيْشٍ دَخَلُوهَا فَأَجَجُوا فِيهَا نَارًا، وَكَانَ يَوْمًا فِيهِ هَوَاءٌ شَدِيدٌ فَأَحْرَقَتْهُ، وَسَقَطَتْ إِلَى الْأَرْضِ.

فَتَأَهَّبَ أَبْرَهَةَ لِذَلِكَ، وَصَارَ فِي جَيْشٍ كَثِيفٍ عَرْمَرَمٍ؛ لَيْلًا يَصُدُّهُ أَحَدٌ عَنْهُ، وَاسْتَصْحَبَ مَعَهُ فَيْلًا عَظِيمًا كَبِيرَ الْجُنَّةِ لَمْ يَرِ مِثْلَهُ، يُقَالُ لَهُ: مُحَمَّدٌ، وَكَانَ قَدْ بَعَثَهُ إِلَيْهِ النَّجَاشِيُّ مَلِكُ الْحَبَشَةِ لِذَلِكَ. وَيُقَالُ: كَانَ مَعَهُ أَيْضًا ثَمَانِيَّةُ أَفْيَالٍ. وَقِيلَ: اثْنَا عَشَرَ فَيْلًا. وَقِيلَ غَيْرُهُ، وَاللَّهِ أَعْلَمُ. يَعْنِي لِيَهْدِمَ بِهِ الْكَعْبَةَ، بَأَنَّ يَجْعَلُ السَّلَاسِلَ فِي الْأَرْكَانِ، وَتُوَضَّعُ فِي عُنُقِ الْفَيْلِ، ثُمَّ يُزَجَرُ لِيُلْقِيَ الْحَائِطَ جُمْلَةً وَاحِدَةً. فَلَمَّا سَمِعَتِ الْعَرَبُ بِمَسِيرِهِ أَعْظَمُوا ذَلِكَ جِدًّا، وَرَأَوْا أَنَّ حَقًّا عَلَيْهِمُ الْمُحَاجَبَةُ دُونَ الْبَيْتِ، وَرَدَّ مِنْ أَرَادَهُ بِكَيْدٍ. فَخَرَجَ إِلَيْهِ رَجُلٌ كَانَ مِنْ أَشْرَافِ أَهْلِ الْيَمَنِ وَمُلُوكِهِمْ، يُقَالُ لَهُ «ذُو نَفَرٍ» فَدَعَا قَوْمَهُ وَمَنْ أَجَابَهُ مِنْ سَائِرِ الْعَرَبِ إِلَى حَرْبِ أَبْرَهَةَ، وَجِهَادِهِ عَنْ بَيْتِ اللَّهِ، وَمَا يُرِيدُ مِنْ هَدْمِهِ وَخَرَابِهِ. فَأَجَابُوهُ وَقَاتَلُوا أَبْرَهَةَ، فَهَزَمَهُمْ لَمَّا يُرِيدُهُ اللَّهُ، **عَرَجَلٌ**، مِنْ كَرَامَةِ الْبَيْتِ وَتَعْظِيمِهِ، وَأَسِرَ «ذُو نَفَرٍ» فَاسْتَصْحَبَهُ مَعَهُ. ثُمَّ مَضَى لَوَجْهِهِ حَتَّى إِذَا كَانَ بِأَرْضِ حَنْعَمٍ، عَرَضَ لَهُ نُفَيْلُ بْنُ حَبِيبِ الْحَشَعَمِيِّ فِي قَوْمِهِ: شَهْرَانُ وَنَاهِسُ، فَقَاتَلُوهُ، فَهَزَمَهُمْ أَبْرَهَةَ، وَأَسِرَ نُفَيْلُ بْنُ حَبِيبٍ، فَأَرَادَ قَتْلَهُ ثُمَّ عَفَا عَنْهُ، وَاسْتَصْحَبَهُ مَعَهُ لِيُدُلَّهُ فِي بِلَادِ الْحِجَازِ. فَلَمَّا اقْتَرَبَ مِنْ أَرْضِ الطَّائِفِ، خَرَجَ إِلَيْهِ أَهْلُهَا ثَقِيفٌ وَصَانَعُوهُ حَيْفَةً عَلَى بَيْتِهِمْ، الَّذِي عِنْدَهُمْ، الَّذِي يُسَمُّونَهُ اللَّاتِ. فَأَكْرَمَهُمْ وَبَعَثُوا مَعَهُ أَبَا رِغَالٍ دَلِيلًا. فَلَمَّا انْتَهَى أَبْرَهَةَ إِلَى

وَارْجِعْ رَاشِدًا مِنْ حَيْثُ جِئْتَ، فَإِنَّكَ فِي بَلَدِ اللَّهِ الْحَرَامِ. ثُمَّ أَرْسَلَ أُذُنَهُ، فَبَرَكَ الْفَيْلُ. وَخَرَجَ نُفَيْلُ بْنُ حَبِيبٍ يَشْتَدُ حَتَّى أَصْعَدَ فِي الْجَبَلِ. وَضَرَبُوا الْفَيْلَ لِيَقُومَ فَأَبَى. فَضَرَبُوا فِي رَأْسِهِ بِالطُّبْرُزِينِ وَأَدْخَلُوا مَحَاجِنَ هُمْ فِي مَرَاقِهِ فَبَزَعُوهُ بِهَا لِيَقُومَ، فَأَبَى؛ فَوَجَّهَهُ رَاجِعًا إِلَى الْيَمَنِ فَقَامَ يَهْرُولُ. وَوَجَّهَهُ إِلَى الشَّامِ فَفَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ. وَوَجَّهَهُ إِلَى الْمَشْرِقِ فَفَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ وَوَجَّهَهُ إِلَى مَكَّةَ فَبَرَكَ. وَأَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ طَيْرًا مِنَ الْبَحْرِ أَمْثَالَ الْخَطَّاطِيفِ وَالْبَلْسَانِ.

مَعَ كُلِّ طَائِرٍ مِنْهَا ثَلَاثَةُ أَحْجَارٍ يَحْمِلُهَا: حَجَرٌ فِي مَنْقَارِهِ، وَحَجْرَانِ فِي رِجْلَيْهِ، أَمْثَالُ الْخُمْصِ وَالْعَدَسِ، لَا تُصِيبُ مِنْهُمُ أَحَدًا إِلَّا هَلَكًا، وَلَيْسَ كُلُّهُمْ أَصَابَتْ. وَخَرَجُوا هَارِبِينَ يَتْتَدِرُونَ الطَّرِيقَ، وَيَسْأَلُونَ عَنْ نُفَيْلٍ لِيَدْتَهُمْ عَلَى الطَّرِيقِ هَذَا. وَنُفَيْلٌ عَلَى رَأْسِ الْجَبَلِ مَعَ قُرَيْشٍ وَعَرَبِ الْحِجَازِ، يَنْظُرُونَ مَاذَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِأَصْحَابِ الْفَيْلِ مِنَ النَّقْمَةِ، وَجَعَلَ نُفَيْلٌ يَقُولُ:

أَيْنَ الْمَفْرُ؟ وَالِإِلَهَ الطَّالِبِ ❀ ❀ ❀ وَالْأَشْرَمُ الْمَغْلُوبُ غَيْرَ الْعَالِبِ

لَا يَغْلِبُنَّ صَوْلِيَهُمْ ❀ ❀ ❀ وَمَحَالُهُمْ غَدَاً مِحَالِكَ

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَقَالَ نُفَيْلٌ فِي ذَلِكَ أَيضًا:

أَلَا حُمِيَتْ عَنَا يَا رُدَيْنَا ❀ ❀ ❀ نَعْمَنَا كُمْ مَعَ الْأَصْبَاحِ عَيْنَا

رُدَيْنَةُ لَوْ رَأَيْتِ وَلَا تَرِيهِ ❀ ❀ ❀ لَدَى جَنْبِ الْمُحْصَبِ مَا رَأَيْنَا

إِذَا لَعَذَرْتَنِي وَحَمَدْتَ أَمْرِي ❀ ❀ ❀ وَلَمْ تَأْسِنِي عَلَى مَا فَاتَ بَيْنَنَا

حَمَدْتُ اللَّهَ إِذْ أَبْصَرْتُ طَيْرًا ❀ ❀ ❀ وَخَفْتُ حَجَارَةَ تَلَقَى عَلَيْنَا

فَكُلَّ الْقَوْمِ يَسْأَلُ عَنْ نُفَيْلِ ❀ ❀ ❀ كَأَنَّ عَلِيَّ لِلْحُبْشَانِ دَيْنَا!

وَذَكَرَ الْوَاقِدِيُّ بِأَسَانِيدِهِ أَنَّهُمْ لَمَّا تَعَبُوا لِدُخُولِ الْحَرَمِ وَهَيَّئُوا الْفَيْلَ، جَعَلُوا لَا يَصْرِفُونَهُ إِلَى جِهَةٍ مِنْ سَائِرِ الْجِهَاتِ إِلَّا ذَهَبَ فِيهَا فَإِذَا وَجَّهَهُ إِلَى الْحَرَمِ رَبَضَ وَصَاحَ. وَجَعَلَ أَبْرَهُهُ يُحْمَلُ عَلَى سَائِسِ الْفَيْلِ وَيَنْهَرُهُ وَيَضْرِبُهُ، لِيَقْهَرَ الْفَيْلَ عَلَى دُخُولِ الْحَرَمِ. وَطَالَ الْفُضْلُ فِي ذَلِكَ. هَذَا وَعَبْدُ الْمُطَّلِبِ وَجَمَاعَةٌ مِنْ أَشْرَافِ مَكَّةَ، مِنْهُمْ الْمُطْعَمُ بْنُ عَدِيِّ، وَعَمْرُو بْنُ عَائِدِ بْنِ عِمْرَانَ بْنِ مَخْرُومٍ، وَمَسْعُودُ بْنُ عَمْرِو التَّقْفِيِّ، عَلَى حِرَاءٍ يَنْظُرُونَ إِلَى مَا الْحَبَشَةُ يَصْنَعُونَ، وَمَاذَا يَلْقَوْنَ مِنْ أَمْرِ الْفَيْلِ، وَهُوَ الْعَجَبُ الْعُجَابُ. فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ، إِذْ بَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ، أَيَّ قَطْعًا قِطْعًا صُفْرًا دُونَ الْحَمَامِ، وَأَرْجُلُهَا حُمْرٌ، وَمَعَ كُلِّ طَائِرٍ ثَلَاثُ أَحْجَارٍ، وَجَاءَتْ فَحَلَقَتْ عَلَيْهِمْ، وَأَرْسَلَتْ تِلْكَ الْأَحْجَارَ عَلَيْهِمْ فَهَلَكُوا.

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ: جَاءُوا بِفَيْلَيْنِ فَأَمَّا مُحَمَّدُ فَرَبَضَ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَشَجِعَ فَحُصِبَ.

وَقَالَ وَهَبُ بْنُ مُنْبِهٍ: كَانَ مَعَهُمْ فَيْلَةٌ، فَأَمَّا مُحَمَّدٌ - وَهُوَ فَيْلُ الْمَلِكِ - فَرَبَّصَ، لِيَقْتَدِيَ بِهِ بَقِيَّةَ الْفَيْلَةِ، وَكَانَ فِيهَا فَيْلٌ تَشَجَّعَ فَحَصِبَ، فَهَرَبَتْ بَقِيَّةُ الْفَيْلَةِ.

وَقَالَ عَطَاءُ بْنُ يَسَارٍ، وَغَيْرُهُ: لَيْسَ كُلُّهُمْ أَصَابَهُ الْعَذَابُ فِي السَّاعَةِ الرَّاهِنَةِ، بَلْ مِنْهُمْ مَنْ هَلَكَ سَرِيعًا، وَمِنْهُمْ مَنْ جَعَلَ يَتَسَاقَطُ عَضْوًا عَضْوًا وَهُمْ هَارِبُونَ، وَكَانَ أْبْرَهُهُ مِمَّنْ يَتَسَاقَطُ عَضْوًا عَضْوًا، حَتَّى مَاتَ بِيَلَادِ خَنْعَمٍ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَخَرَجُوا يَتَسَاقَطُونَ بِكُلِّ طَرِيقٍ، وَيَهْلِكُونَ عَلَى كُلِّ مَنْهَلٍ وَأُصِيبَ أْبْرَهُهُ فِي جَسَدِهِ، وَخَرَجُوا بِهِ مَعَهُمْ يَسْقُطُ أَنْمَلَةٌ أَنْمَلَةٌ، حَتَّى قَدِمُوا بِهِ صَنْعَاءَ وَهُوَ مِثْلُ فَرْخِ الطَّائِرِ، فَمَا مَاتَ حَتَّى انْصَدَعَ صَدْرُهُ عَنْ قَلْبِهِ فِيمَا يَزْعُمُونَ.

وَذَكَرَ مُقَاتِلُ بْنُ سُلَيْمَانَ: أَنَّ قُرَيْشًا أَصَابُوا مَا لَا جَزِيْلًا مِنْ أَسْلَابِهِمْ، وَمَا كَانَ مَعَهُمْ، وَأَنَّ عَبْدَ الْمُطَّلِبِ أَصَابَ يَوْمَئِذٍ مِنَ الذَّهَبِ مَا مَلَأَ حُفْرَةَ (١). اهـ.

قد يقول قائل: كيف دافع الله عَزَّجَلَّ عن الكعبة من أبرهة، ولم يدافع عن الكعبة في آخر الزمان من ذي السويقتين الذي يهدمها حجرًا حجرًا؟ قال أهل العلم: دافع عن الكعبة في مبدئها توطئة لمبعث النبي ﷺ؛ ولأنها ستكون قبلة المسلمين وستعظم، وأما آخر الزمان فإن أهلها يضيعونها ويتهكونها، فيسلط الله عليها ذو السويقتين.

فيقول الله عَزَّجَلَّ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ أي: أصحاب أبرهة، أهلكتهم وبددهم، سمو بأصحاب الفيل؛ للفيل العظيم الذي حملوه معهم لقصد هدم الكعبة.

﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضَلُّلٍ﴾ أي: أنه تعالى جعل كيدهم في ذهاب ولم يفلحوا أبدًا، والحال: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا (١٥) وَأَكِيدُ كَيْدًا (١٦)﴾، وقد أحسن من قال:

يَا رَبِّ إِنَّ الْمُرءَ يَمْنَعُ ❖ ❖ ❖ رَحْلُهُ فَمَنْعَ حَلَالِكَ

لَا يَغْلِبَنَّ صُلَيْبُهُمْ ❖ ❖ ❖ وَمَحَالُهُمْ عَدُوًّا مَحَالِكَ

إِنْ كُنْتَ تَارِكُهُمْ وَقَبْلَتْنَا ❖ ❖ ❖ فَأَمْرٌ مَا بَدَا لَكَ

وَلَكِنَّ فَعَلْتَ فَإِنَّهُ ❖ ❖ ❖ أَمْرٌ يَتِمُّ بِهِ فَعَالِكَ

﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ أرسل عليهم طيرًا كثيرًا أتى على شكل جماعات ﴿تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ﴾ أي: أسقط عليهم حجارة من السماء ﴿مِنْ سِجِّيلٍ﴾ من طين قد ييس، وهي حجارة كالحمص.

﴿ جَعَلَهُمْ ﴾ أي: أهلكتهم، حتى كانوا: ﴿ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾ كالعلف الذي تأكله الدواب وتناثره هاهنا وهاهنا؛ لكثرة من هلك في هذه الواقعة، والله عَزَّوَجَلَّ لا يعجزه شيء في السموات ولا في الأرض.

والحمد لله رب العالمين.

